



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (14)

التاريخ: الأحد 23/محرم/1441 هـ

22/أيلول/2019 م

الدرس الرابع عشر من شرح السنة للبرهامري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال المؤلف - رحمه الله -: (([64] والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يأمون؛ وذلك أن بكر ابن أخت عبد الواحد قال: لا يأمون؛ وكذب)).

أي: يجب الإيمان والتصديق بأن الأطفال إذا أصابهم شيء يؤلمهم في دار الدنيا؛ كضرب وغيره؛ يأمون، يعني: يتألمون.

وهذا أمر محسوس مُشاهد لا يحتاج إلى نقاش ومجادلة فيه، إذا ضربت الولد الصغير؛ فإنه يشعر بالألم، يصرخ، يبكي؛ هذا أمر لا إشكال في حقيقته؛ لكن أهل البدع دائماً يشوشون، ويخرجون بأشياء شاذة ومخالفة؛ هذا الرجل - بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد البصري - من الخوارج؛ خرج بهذه البدعة المحدثة والسفسطة الزائدة، وقال بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في الدنيا لا يأمون، وهذا كما علمنا مُخالف لما هو مشاهد محسوس، وذكر هذا القول يُغني عن رده، ويكفي في بيان ضلال من خالف فيه وقرّر هذا الكلام. لكن هذا يُبين لنا أن المؤلف يذكر في كتابه هذا ما حصل في وقته، أو قبله من البدع؛ فيذكر أصول أهل السنة التي تُخالف البدع التي تحصل من قبل أهلها.

قال المؤلف - رحمه الله -: (([65] واعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله، ولا يُعذب الله أحداً إلا بقدر ذنوبه، ولو عذب أهل السموات والأرض؛ برهم وفاجرهم؛ عذبهم غير ظالم لهم، لا يجوز أن يقال لله عز وجل: إنه ظالم؛ وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له، والله له الخلق والأمر، والخلق خلقه، والدار داره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولا يقال: لم وكيف؟ ولا يدخل أحد بين الله وبين خلقه)).

قال: (واعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله، ولا يُعذب الله أحداً إلا بقدر ذنوبه)، هذا من فضل الله ومن عدله عز وجل؛ فإدخال الله تبارك وتعالى الناس الجنة هذا من فضله وتكرمه عليهم، وعذاب من يستحق العذاب من الناس في نار جهنم، وإدخاله نار جهنم؛ هذا

من عَدَلَ الله، فبِعَدَلِ الله سبحانه وتعالى يُدْخَلُ من يستحقّ النار النَّارَ، وبفضله يُدْخَلُ من يستحق الجنة الجنة.

وقوله: **(ولا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله):**

يعني أعمال العباد ليست هي التي تَدْخُلُ النَّاسَ الجنة؛ بل الناس يدخلون الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى وفضله، أما الأعمال؛ فسبب لدخول الجنة، لا يمكن لأحد أن يدخل الجنة إلا أن يأتي بالسَّبَب؛ وهو العمل، لكن هذا العمل ليس ثَمناً لدخول الجنة؛ فدخول الجنة يحصل برحمة الله سبحانه وتعالى للعباد؛ فقد قال النبي ﷺ: "لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ"، يعني: عمله لن يكون ثَمناً لدخوله الجنة، (قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "لا، ولا أنا؛ إلا أن يتغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ"⁽¹⁾)، فدخول الجنة يكون برحمة الله سبحانه وتعالى؛ برحمة الله وفضله يدخل من يستحق الجنة الجنة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾، وفي الحديث: "لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله"⁽³⁾، فالباء الأولى في الآية: ﴿بِمَا﴾: بَاءُ الْعَوَظِ؛ ثَمَنِيَّةٌ، والباء الثانية في الحديث: "بِعَمَلِهِ" بَاءُ السَّبَبِيَّةِ؛ هذا الفرق بينهما؛ يعني لن يكون عمل أحدكم عِوَضاً وَثَمناً لدُخُولِ الجنة؛ ولكنَّ عَمَلُهُ سَبَبٌ لدخول الجنة، فعَلَّقَ اللهُ سبحانه وتعالى دخول الجنة على سبب وهو العمل، فإذا عَمِلْتَ؛ دخلت الجنة، وإن لم تعمل؛ لن تدخل الجنة، ودخولك الجنة أصلاً هو بفضل الله سبحانه وتعالى وتكرماً منه.

قال: **(ولو عَذَّبَ أهل السماوات والأرض برّهم وفاجرهم؛ عَذَّبَهُمْ غير ظالمٍ لهم)**، لو حصل هذا وعَذَّبَ اللهُ سبحانه وتعالى أهل السماوات والأرض جميعاً؛ من كان صالحاً منهم ومن كان فاجراً؛ يُعَذَّبُهُمْ وهو غير ظالمٍ لهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على العباد من النِّعَمِ الشيء العظيم والكثير، وواجبٌ عليهم أن يشكروا؛ ولكن من شكر منهم لا يستطيع أن يأتي

(1) أخرجه البخاري (5673)، ومسلم (2816) عن أبي هريرة، وفي الباب أيضاً عن عائشة وغيرها رضي الله عنهم جميعاً

(2) [النحل:32]

(3) ولم يخرج الشيخان بهذا اللفظ؛ وإنما هو عند أحمد (7479) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده زياد المخزومي

بشكر النعم التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه؛ فالتقصير حاصل، فلو عذبهم الله سبحانه وتعالى؛ يُعذبهم وهو غير ظالم لهم، وهذا معنى الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ⁽¹⁾؛ ولكن الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته لا يُعذب أهل الإيمان الذين يُختم لهم على خير.

قال: (لا يجوز أن يُقال لله عز وجل: إنه ظالم) أبداً؛ لا يجوز أن يُوصف الله سبحانه وتعالى بالظلم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁽³⁾، وقال في الحديث القدسي: "يا عبادي! إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا"⁽⁴⁾؛ فالله سبحانه وتعالى قد حرّم الظلم على نفسه؛ فلا يظلم أحداً من العباد.

هذه تجعلها نصب عينيك وتحفظها جيداً؛ أي شبهة بعد ذلك ترد عليك في القدر؛ فتذكر هذا؛ أي شيء؛ تذكر هذه الآيات وهذه الأحاديث، واتهم عقلك، وآمن بعد ذلك بكل ما أخبر النبي ﷺ به من مسائل القضاء والقدر، واعلم أن ربك ما كان بظلام للعبيد، ولا يظلم أحداً، وآمن بأن الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ثم بعد ذلك ما يرد على عقلك من أسئلة؛ فاطردها، ولا تسترسل معها؛ فكما سيأتي معنا إن شاء الله: بأن القدر سرُّ الله في خلقه، لا تتجاوز، لا تبحث عن أشياء لا علم لك بها، وآمن بأن الله سبحانه وتعالى أفعاله كلها لحكمة؛ ربّما تدرك أنت الحكمة، وربّما لا تدركها، فتؤمن بأن الله ليس بظلام للعبيد، وأن من عذبه الله لم يُعذبه إلا وهو يستحق العذاب، ومن رحمه فرحمه بفضله؛ تؤمن بهذا كله حتى تكون بحق مؤمناً بقدر الله سبحانه وتعالى.

(1) أخرج أحمد في "مسنده" (21589)، وأبو داود (4699) عن ابن الديلعي: قال: لَقِيتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَآوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْقَضْتَ جَبَلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلْتَ النَّارَ» قَالَ: فَأَتَيْتُ خَدِيفَةَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ.

(2) [فصلت:46]

(3) [الكهف:49]

(4) أخرجه مسلم (2577) عن أبي ذر رضي الله عنه.

قال: (وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ)

يعني من الذي يكون ظالماً؟

الذي يعتدي بأخذ ما ليس حقاً له هو من يكون ظالماً؛ والله سبحانه وتعالى لا يأخذ ما ليس له. والظلم أصلاً تعريفه: وَضْعُ الشيء في غير موضعه، والله سبحانه وتعالى لا يضع شيئاً في غير موضعه؛ لذلك لا يقع الظلم منه أبداً؛ وكلّ ما في هذا الكون هو ملكٌ له؛ فلا يأخذ إلا ما هو ملكٌ له؛ فلا يقع الظلم منه، وإن كان قادراً على الظلم ولكنه لا يفعله لكَماله تبارك وتعالى ولأنه حرمه على نفسه.

قال: (وَاللَّهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ؛ وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالذَّارِدَارُهُ)؛

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾⁽¹⁾؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه، الخلق كلّهُ؛ كل المخلوقات في هذا الكون له سبحانه وتعالى؛ وهو خالقها وهو مُوجدها.

(وَالْأَمْرُ لَهُ): الأمر الكوني، والأمر الشرعي له سبحانه.

- الأمر الكوني: كل ما وُجد على وجه هذه البسيطة؛ فهو من أمره الكوني.
- الأمر الشرعي: ما وُجد في شرعه؛ من تحريم وتحليل، أو امر ونواه؛ كلّهُ لله.

(وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ): هو الذي خلق الخلق، وهو الذي أوجدهم من العدم، وهو المالك لهم. (وَالذَّارِدَارُهُ): سواء دار الدنيا، أو دار البرزخ، أو دار الآخرة؛ كلّها لله سبحانه وتعالى.

قال: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)⁽²⁾؛

لا أحد يسأل الخالق ماذا تفعل في خلقك؛ فالخلق خلقه؛ كلّهم مملوك له؛ فلا أحد يسأله لم فعلت كذا، والخلق هم يُسألون؛ الله سبحانه وتعالى يسأل الخلق؛ لأنهم ملكٌ له، ويسألهم عَمَّا يفعلون.

قال: (وَلَا يُقَالُ لِمَ؟ وَلَا كَيْفَ؟)،

(1) [الأعراف:54]

(2) [الأنبياء:23]

لا تعترض ولا تُورد الإيرادات والأسئلة:

لَمْ فعل كذا؟ وكيف فعل كذا؟ وَلَمْ لم يفعل كذا؟ لَمْ هَدَى فلاناً وأضلّ فلاناً؟ وكيف رزق فلاناً ولم يرزق فلاناً؟ كل هذه الأسئلة باطلة ليست من حقك؛ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾،

نؤمن بأنه تبارك وتعالى لا يفعل فعلاً إلا لحكمة بالغة، من وراءها تحقيق المصالح ودرء المفاسد، ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً؛ ويكفيننا هذا، ثم اشغل نفسك بعد ذلك بما أمرك الله به؛ وهو أن تتعلم وأن تعمل.

قال: (ولا يدخل أحدٌ بين الله وبين خلقه)؛

أبداً؛ لا أحد يدخل بين الله وبين خلقه ويسأل ويستفسر: لم فعل كذا؟ الله سبحانه وتعالى يفعل في عبادته ما يشاء.

قال المؤلف - رحمه الله - : ([66] وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ؛ فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل رديء المذهب والقول، ولا يطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه رضي الله عنهم؛ لأننا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار؛ فإن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن)

قال: (إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ؛ فاتهمه على الإسلام)؛

المقصود بالآثار: السنن؛ أقوال النبي ﷺ، أفعاله، تقريراته، ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام. ونسمع بهذا كثيراً؛ وبالذات اليوم بالذات؛ يقول لك: اتركنا من السنة وأتنا بالقرآن!

يقول النبي ﷺ: "لا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ مُتَّكِنًا عَلَى أُرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي ؛ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ؛ ويقول: بيني وبينكم كتاب الله ؛ ألا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"⁽¹⁾، الذي هو مثل القرآن: السنة.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽²⁾؛ فالسنة وحْيٌ من الله مثل القرآن؛ بل إِذَا فُقِدَتِ السَّنَةُ لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَفْهَمَ الْقُرْآنَ؛ لذلك بعض السلف قالوا: (السَّنَةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ)⁽³⁾، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَنِ السَّنَةِ؛ فكيف سَتُفَسِّرُ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾؟ يَأْتِيكَ رَجُلٌ يَقُولُ لَكَ: اتْرُكْنِي مِنْ كُلِّ الْعَادَاتِ الَّتِي وَجَدْنَا عَلَيْهَا النَّاسَ؛ أَنَا لَا أَوْمِنُ إِلَّا بِدِينِ، بِشَرْعٍ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾؛ كَيْفَ أَصْلِي؟ أَثْبِتْ لِي؛ لَنْ تَجِدَ الْفَجْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالظُّهْرَ أَرْبَعًا، وَالْعَصْرَ أَرْبَعًا، وَالْمَغْرِبَ ثَلَاثًا، وَالْعِشَاءَ أَرْبَعًا؛ أَيْنَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ؟! أَيْنَ تَفَاصِيلُ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الَّتِي حَكَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا فِي الْقُرْآنِ؛ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ؟ كُلُّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ؛ فَسَّرَهُ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾⁽⁴⁾؛ فَالْنَبِيُّ ﷺ مُبَيِّنٌ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁽⁵⁾، فَمَنْ يَأْخُذُ بِالْقُرْآنِ وَيُكَذِّبُ بِالسَّنَةِ؛ فَهُوَ مُكَذِّبٌ لِلْقُرْآنِ؛ إِذْ لَوْ كُنْتَ مُصَدِّقًا بِالْقُرْآنِ حَقًّا؛ كُنْتَ أَخَذْتَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا احْتَجَّ عَلَى الْمَرْأَةِ احْتِجَّ عَلَيْهَا بِهَذِهِ الْآيَةِ؛ لَمَّا جَاءَتْ وَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي لَا أَرَى النَّهْيَ عَنِ التَّمَصُّصِ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّكَ قَرَأْتَهُ لَوَجَدْتَهُ، قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ

(1) أخرجه أحمد (23861) وأبو داود (4605)، والترمذي (2663) عن أبي رافع.

(2) [النجم:3]

(3) أخرجه الدارمي في "سننه" (607)، وابن بطة في "الإبانة الكبرى" (89)، والخطيب (ص 14)؛ كلهم عن يحيى بن أبي كثير؛ قوله: (السَّنَةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَاضٍ عَلَى السَّنَةِ).

(4) [النحل:44]

(5) [الحشر:7]

قرأته من أوله إلى آخره؛ ولا أجد فيه التّمص، فقال لها: ألم تقرئي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟⁽¹⁾

ها هو موجود في القرآن؛ فكل السنة داخله في هذه الآية ومُلزمة للعباد بها. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁽²⁾، كيف نُطيع الرسول ﷺ؟ بأوامره الموجودة في سنته ﷺ.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُواكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽³⁾، كيف سنُحكّم النبي ﷺ؟ نحكم سنته.

وقد نقل العلماء الاتفاق على أنّ طاعة الله تكون بطاعة كتابه، وطاعة الرسول ﷺ تكون بطاعة سنته، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾⁽⁴⁾.

فترك سنته مُشاقة له عليه الصلاة والسلام، والأدلة في هذا المعنى كثيرة. وقد أجمع العلماء على أنّ تارك السنّة المُكذّب بها كافر، خارج من ملة الإسلام؛ فالمُبطل لشريعة الله، ليس عنده شريعة؛ لذلك قال المؤلف:

(وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يُطْعَنُ عَلَى الْأَثَارِ وَلَا يَقْبَلُهَا أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ):

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (4886)، ومسلم (2125) عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمَتَشِمَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ» فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا [ص:148] أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتَ: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَأَذْهَبِي فَاَنْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَتَنْظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا).

(2) [النساء:59]

(3) [النساء:65]

(4) [النساء:115]

ولو شيئاً واحداً أو اثنان من الأخبار الثابتة الحق؛ يُنكرها ويردّها؛ كأخبار الدّجال، وأخبار نزول عيسى عليه السلام، وأخبار خروج المهدي، وأخبار الحوض، وأخبار الشفاعة، وغير ذلك مما ورد في الأحاديث؛

(فاتّهمه على الإسلام)؛

اتهمه بأنّه رجل مُنافق يريد أن يهدم دين الله تبارك وتعالى؛ واحذره.

قال: (فإنّه رجل رديء المذهب والقول)؛

يعني: مذهبه ودينه الذي يمشي عليه رديء سيّء، مُفسد، قوله هذا الذي يُنكر به سنة النبي ﷺ رديء فاسد.

قال: (ولا يُطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه رضي الله عنهم)،

فمن طعن على رسول الله ﷺ؛ كفر.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ﴾⁽¹⁾، وسبب نزول هذه الآية؛ كما رواه ابن عمر رضي الله عنه: "أن رجلاً في غزوة تبوك

في مجلسٍ يوماً: ما رأيْتُ مثْلَ قُرَائِنَا هؤُلاءِ؛ لا أرغبُ بَطُوناً ولا أكذبُ ألسنةً ولا أجبنَ عندَ اللّقاءِ،

فقال رجلٌ في المجلس: كذبتَ ولكِنَّكَ مُنافِقٌ لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل

القرآنُ، قال عبدُ الله: فأنا رأيته مُتعلّقاً بحَقِّ رسولِ الله ﷺ تنكبه الحِجَارَةُ وهو يقولُ: يا

رسولَ الله: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ﴾"⁽²⁾.

وهؤلاء كانوا يعنون النبي ﷺ وأصحابه، هم مسلمون! لكن يمزحون! مثلما يسميها بعض

الشباب اليوم: جلسة أنس! يستأنسون بالاستهزاء بمن؟ بالنبي ﷺ وبأصحابه.

(1)[التوبة:65]

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (1826/6) من حديث ابن عمر، وقال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص109): "الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان وأخرجه الطبري من طريقه (ج10 ص172)، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم من حديث كعب بن مالك".

فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾؛

كانوا مؤمنين؛ وكفروا بهذا القول، بهذا الفعل الذي فعلوه، جاء الرجل يلتمس الأعذار؛ ويقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، ما كنّا نريد أن نكفر، ولم نكن نظنّ أنّ الأمور ستصل إلى هذا الموصّل، كنّا نخوض ونلعب؛ نمزح ونمشي الوقت!

﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ﴾؟! ما وجدتم شيئاً تمزحون به إلّا هذا!

لو عَظُمَ الإيمان في النفوس؛ ما وصل إلى هذا الموصّل؛ ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾؛ فهذا حال

الذي يطعن في النبي ﷺ ويطعن في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فحقيقة مُؤدّي الذي يطعن في أصحاب النبي ﷺ هو الطعن في دين الله، وقصده الدين؛ شريعة الله، يريد أن يهدمها، لكنه ما وجد السبيل للناس! لو جاء للعامة وقال لهم: إنّ دينكم فاسد؛ لضربوه حتى يقتلونه، لكن لو جاءهم بالتسلسل؛ رويداً رويداً؛ فسيكون الأمر عندهم مقبولاً أكثر؛ كيف؟

تعالوا أولاً نبداً بمعاوية رضي الله عنه؛ لماذا؟

لأن معاوية صار بينه وبين علي بن أبي طالب حروبٌ، والنّاس لها عاطفة من ناحية علي بن أبي طالب؛ لأنه ابن عم النبي ﷺ، زوج فاطمة، قريب من النبي ﷺ؛ الذي يُعاديّه فيه مشكلة، إذاً النفوس مُتقبلة للطعن في معاوية، وفيمن مع معاوية؛ كعمرو بن العاص، فأول ما يبدأ لك بهؤلاء.

فمَن سمعته يطعن في هؤلاء؛ فاعلم أنّه قد ارتقى على الدرجة الأولى من درجات السُّلم، ويريد دين الله؛ لكنه يبدأ معك بالتدرّج واحدة واحدة؛ هذا هو السبيل الذي يمكن أن يجد من نفسك قبولاً له؛ لأنّ هناك نفوساً تميل قليلاً؛ فيبدأ في معاوية، وعمرو بن العاص، ثم بعد ذلك يبدأ يرتقي إلى أن يصل إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً؛ وهذا الذي ترونه الآن؛ الذي سمعناه من الذين بدأوا بمعاوية وعمرو؛ وصلّوا إلى أبي بكر وعمر، ثمّ بعد ذلك يهدم دينكم بالكامل؛ سواء كنت تشعُر أو لا تشعُر؛ ولكن دينك انتهى.

كيف؟ من الذي أوصل لك السنّة والقرآن؟ كيف وصلك القرآن؟ من الذين بلّغوك القرآن؟ الصحابة هم الذين حملوا القرآن وبلّغوه لمن بعدهم، فإذا كان الصحابة كُفّاراً؛ فهل يُقبَلُ خبر الكافر ونقله؟ لا يُقبَل؛ إذا قرأنكم باطل.

أرأيت كيف يكون التدرج؟!

هذا التدرج أوصل إلى هذا؛ لذلك فالرافضة تدرجوا هذا التدرج، ووصلوا إلى أن القرآن محرّف؛ بهذه الطريقة، تدرجوا واحدة واحدة؛ إلى أن وصلوا إلى أن القرآن محرّف؛ وضعه الصحابة، غيّرُوا وبدّلُوا الذي يُريدونه؛ لأنّهم كفّار! هذه طريقتهم، وهكذا يقولون. إذاً الذي يطعن في واحد من أصحاب النبي ﷺ؛ فإنّما يريد في النهاية إلى أن يصل إلى هدم شريعة الله سبحانه وتعالى؛ ومن هنا جاء قول أبي زرعة الرازي - رحمه الله - : أن من طعن على واحد من أصحاب النبي ﷺ؛ فهو زنديق⁽¹⁾، بواحد فقط؛ فهو زنديق؛ لأنه يريد أن يصل إلى هذا.

السلف كانوا فُطناء، وليسوا أغبياء كبعض من هم اليوم مَوجودون؛ بدعوى حُسن الظن؛ فأوصلهم حُسن الظن إلى الغباء والسذاجة، حقيقة هذا ما عاد حُسن ظن؛ هذا صار غباءً، سذاجة؛ يُحسن الظن بمن يُفسد دين الله سبحانه وتعالى، وهو يقول لك: أحسن الظن، الأصل حُسن الظن.

فابقَ أحسن الظن؛ حتى يُدَمِّر الدين وهو يقول لك: أحسن الظن، إلى متى تحسن الظن؟ إحسان الظن واجب فيمن أظهر لك الخير، أمّا من أظهر لك الباطل؛ فهذا يجب عليك أن تُحذّر منه، وأن تحذّره، وأن تحفظ دين الله سبحانه وتعالى منه.

قال: (ولا يُطعنُ على رسول الله ﷺ، ولا على أصحابه رضي الله عنهم ؛ لأنّا إنّما عرفنا الله، وعرفنا رسوله، وعرفنا القرآن، وعرفنا الخير والشرّ، والدنيا والآخرة ؛ بالآثار)؛ كل هذا الدين؛ الشرع الذي عرفناه؛ من أين؟ من الآثار؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ.

قال: (فإنّ القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن)؛

انظر إلى ما وصل؟ وهذه الكلمة قد أثرت عن أكثر من واحد من السلف؛ قالوا: السنة قاضيةٌ على القرآن،

(1) أخرج الخطيب البغدادي في "الكفاية" (ص49) بإسناده إلى أبي زرعة؛ قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"

القرآن أحوج إلى السنة من السنّة إلى القرآن.
وبعض السلف يقول: أنا لا أجزأ على هذه الكلمة؛ لكن القرآن والسنّة لا يفترقان.

قال المؤلف رحمه الله: ([67] والكلامُ والجِدالُ والخُصومةُ في القَدَرِ خاصّةً؛ منهيٌّ عنه عندَ جميعِ الفرقِ؛ لأنَّ القَدَرَ سرُّ الله، ونهى الرَّبُّ جَلَّ تعالى الأنبياءُ عَنِ الكلامِ في القَدَرِ، ونهى النبيُّ ﷺ عَنِ الخُصومةِ في القَدَرِ، وكرهه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، وكرهه التّابعونَ، وكرهه العلماءُ وأهلُ الوَرَعِ، ونهوا عَنِ الجِدالِ في القَدَرِ، فعَلَيْكَ بالتَّسليمِ والإقرارِ بالإيمانِ، واعتقادِ ما قالَ رسولُ الله ﷺ في جُملةِ الأشياءِ، واسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ)

الكلام: الأخذ والرد، المُجادلة: يُجادل الشخص تتكلّم معه ويردُّ لك الكلام، والمجادلة والخصومة بمعنى؛ لأنّ المُجادلة أصلاً تؤدّي إلى الخصومة فيما بين الطرفين عندما يتجادلان، وهذا أصلاً قد نُهي عنه في دين الله؛ نهى عنه السلف وحذّروا منه كثيراً، وحذّروا من مخالطة أهل البدع، ومن الخصومة والمُجادلة معهم في الباطل؛ لأنّ ذلك يُؤدّي إلى إمرض القلوب، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء؛ فلذلك نهى السلف عن ذلك

قال: (في القدر خاصّة)؛

النهي فيه أشد.

قال: (منهيٌّ عنه عند جميع الفرق)

وليس فرقة واحدة من الفرق؛

(لأن القدر سرُّ الله)؛

هذا هو السبب، مهما جادلت وخاصمت وتناقشت، في النهاية؛ ستصل إلى باب مَسدود، لن تصل إلى شيء، وستبقى في حيرة وضياح، فلا يجوز لك أن تخوض في هذا الذي هو سرُّ الله في خلقه.

قال: (ونهى الرَّبُّ جَلَّ وعلا الأنبياءُ عن الكلامِ في القدر)

نهى جميع الخلق؛ ومنهم الأنبياء عن الكلام في القدر والخوض فيه.

قال: (ونبي النبي ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنه، وكرهه التابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدل في القدر)؛

فكلهم متفقون على عدم جواز الخوض في مسائل القدر؛ لأنَّ القدر سرُّ الله في خلقه. هذه الكلمة:- القدر سرُّ الله في خلقه- وإن كانت جاءت في حديث؛ لكنه ضعيف⁽¹⁾؛ غير أن علماء الإسلام عليها؛ على تقريرها وعلى إقرارها

قال: (فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان)

هذا الواجب عليك في مسائل القدر؛ تؤمن بأنَّ الله سبحانه وتعالى قد علِمَ كلَّ شيء، كتب مقادير كل شيء قبل خمسين ألف سنة، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ وأنه خالق أفعال العباد، كل هذه مسائل القدر؛ تؤمن بها وتسلم كما جاءت، كما أمرنا، فما جاءك من مسائل القدر قد نُصِّ عليه في القرآن والسنة تُسلم وتؤمن به، وغير ذلك تسكت وتتوقَّف، ولا تزِدُ على ذلك؛ فالمسألة خطيرة، وكما أننا ذكرنا نؤمن بهذه التي ذكرناها؛ نؤمن بحكمة الله تبارك وتعالى في أفعاله، ونؤمن بأنَّ الله ليس بظلام للعبيد.

قال: (واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء)

كل الأشياء التي ذكرت في مسائل القدر؛ وجب عليك أن تؤمن بها؛ قدر الله سبحانه وتعالى رزق المرء، قدر له شقي أم سعيد، قدر له حياته ومتى يموت؛ كل هذا نؤمن به ونصدق، نؤمن بكل ما تقدم، ونسكت عمَّا سوى ذلك؛ هذه عقيدة أهل السنة، هذه طريقتهم في التعامل مع مسائل القدر.

(1) قال ابن القيسراني في "تذكرة الحفاظ" (383): "لا تكلِّموا في القَدَرِ، فَإِنَّهُ سِرُّ اللَّهِ...". الْحَدِيثُ.

رَوَاهُ الْهَيْثَمُ بْنُ جَمَّازٍ الْحَنْفِيُّ، عَنْ عِمْرَانَ الْقَصِيرِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَالْهَيْثَمُ لَا شَيْءَ فِي الْحَدِيثِ.

وقال السيوطي في "الزيادة على الموضوعات" (738/2): "شعبة عن سليمان التيمي عن أنس مرفوعاً: (لا تفسحوا الكلام في القدر فإنه سرُّ الله، ولا تجادلوا أهل البدع، فإنَّ الشيطان يريد بكم الغي، والله يريد بكم الخير).

قال الخطيب: لا أصل لهذا الحديث عند ذوي المعرفة بالنقل فيما نعلم، وقد وضعه محمد بن عبدِ إسنادًا وممتنًا، وله أحاديث كثيرة تشابه ذلك، وكلُّها تدلُّ على سوء حاله وسقوط رواياته.

وقال الدارقطني: محمد بن عبدِ بن عامر السمرقندي يكذب ويضع."

وقد تقدم الكلام في القدر، وكيف يكون الإيمان به؛ لكن المقصود هنا تقريره: هو عدم الخوض والجدال والمخاصمة في مسائل القدر.

ثم قال المؤلف - رحمه الله - : ([68] **وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ، وَكَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ إِلَى النَّارِ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَنُشِرَتْ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ، وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِينَ فِي الْيَقْظَةِ، حَمَلَهُ جَبْرِيلُ عَلَى الْبُرَاقِ حَتَّى أَدَارَهُ فِي السَّمَاوَاتِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ لَيْلَتَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ**).
الإيمان بأن رسول الله ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ واجب؛ يعني يجب عليك أن تؤمن بالإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾⁽¹⁾.

والإسراء: هو السير في الليل،

والمعراج: هو الصُّعود، والنبى ﷺ أتاه جبريل وهو في مكة

وأخذه على الدابة التي تُسمى البراق، وانطلقت من مكة إلى بيت المقدس؛ مسافة طويلة؛ أكثر من ألفي كيلو، لكن الدابة هذه كانت دابة عظيمة وسريعة؛ إذا مدت قائمتها؛ تصل إلى بُعد نظرها، فوصلت إلى بيت المقدس وربطها بالنبي ﷺ في حلقة البيت، في المكان الذي يربط الأنبياء، ودخل المسجد وصلى بالأنبياء- كما جاء في حادثة الإسراء والمعراج- وقال البعض بأنه صلى بهم بعد رجوعه، ثم صعد جبريل بالنبي ﷺ إلى السماء الدنيا، ووجد فيها الأنبياء، ثم السماء الثانية، والثالثة، والرابعة والخامسة، والسادسة، والسابعة؛ فوصل إلى السماء السابعة، وكلم الله تبارك وتعالى، وكلمه ربه تبارك وتعالى، وشرع الله الصلوات الخمس؛ كل هذا مذكور في حديث الإسراء والمعراج وهو في الصحيحين⁽²⁾؛ نؤمن بهذا كله، ونؤمن أن النبي

[الإسراء:1]

(2) أحاديث الإسراء والمعراج: أخرج البخاري (349)، ومسلم (163) عن أبي ذر.

والبخاري (3207)، (3887)، ومسلم (164) عن مالك بن صعصعة،

والبخاري (7517)، ومسلم (16) عن مالك بن أنس

رَأَى الْجَنَّةَ وَرَأَى مَا فِيهَا، وَرَأَى النَّارَ وَرَأَى مَا فِيهَا، وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ، نُؤْمِنُ وَنُصَدِّقُ بِهِ، وَبِمَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا؛ وَنُؤْمِنُ أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَسْرَى بِنَبِيهِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ حَقِيقَةً لَا مَنَاماً كَمَا تَدَّعِيهِ بَعْضُ الْفِرَقِ، وَيَدْعُونَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ بِرُوحِهِ لَا بِجَسَدِهِ، الْمَنَامُ لَا يَنْكُرُهُ الْكُفَّارُ؛ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ الْمَنَامَاتِ، وَلَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ هَذَا؛ لَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ، وَصَارُوا يَسْتَهْزِئُونَ وَيَضْحَكُونَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، كَيْفَ حَصَلَ هَذَا الْأَمْرُ الْخَارِجُ عَنِ الْمُعْتَادِ؛ كَيْفَ يَحْصُلُ أَمْرٌ كَهَذَا! حَتَّى طَلَبُوا مِنْهُ أَمَارَةً - عَلَامَةً عَلَى صِدْقِهِ فِي ذَلِكَ -؛ فَقَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَلَا يَعْرِفُ أَوْصَافَهُ، قَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ؛ عَلَامَةً عَلَى صِدْقِكَ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ أَمَامَهُ؛ يَرَاهُ وَيُصِفُهُ مَبَاشَرَةً؛ فَوَصَفَهُ لَهُمْ؛ فَبَانَ صِدْقُهُ فِيمَا ذَكَرَ ﷺ؛ فَلِذَلِكَ كُلُّ مَا وَرَدَ مِنْ رَوَايَاتٍ فِيهَا أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ فِي مَنَامٍ؛ هِيَ رَوَايَاتٌ بَاطِلَةٌ، وَالرَّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ؛ فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ كُلَّهُ.

قال: **(وصار إلى العرش)**

يعني وصل النبي ﷺ إلى عرش الرحمن، وكَلَّمَ الله تعالى؛ كما جاء في أحاديث الإسراء، **(ودخل الجنة)** كما جاء فيها أيضاً.

قال: **(واطلع إلى النار)**، لاحظ قوله: **(ودخل الجنة واطلع إلى النار)**؛ ما دخل النار واطلع على ما فيها، وأمَّا الجنة فدخلها.

قال: **(ورأى الملائكة، وسمع كلام الله عز وجل، ونُشِرت له الأنبياء، ورأى سُرادِقَاتِ العرش والكرسي)**

يعني رأى النبي ﷺ ما حول العرش، وما حول الكرسي.

قال: **(وجميع ما في السموات، وما في الأرضين في اليقظة)**؛ كل هذا رآه في اليقظة وليس في المنام، وإسراءه كان في اليقظة لا في المنام.

قال: **(حملَه جبريلُ على البُرَاقِ حتى أدارَه في السموات، وفُرضت عليه الصَّلوات الخمس في**

تلك الليلة)،

في تلك الليلة فُرضت الصلوات الخمس، وكان أول ما فُرضت خمسين صلاة؛ فرضها الله عليه لما كان في السماء السابعة، فأخبره الله سبحانه وتعالى بذلك، وأنه فرض على هذه الأمة خمسين صلاة، فنزل النبي ﷺ، فلقية موسى وقال له: إني أعرف أمتك لا يقدرُونَ على ذلك فارجع إلى ربك واطلب منه أن يُخفف؛ فرجع وخفف، وصار هذا الرجوع أكثر من مرة؛ إلى أن خفف إلى خمس صلوات ولهنَّ أجر خمسين صلاة- فضلاً ومنَّة من الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة-، تُصلي خمس صلوات؛ لكن أجرها: خمسين صلاة.

قال: (وفُرضت عليه الصلوات الخمس في تلك الليلة، ورجع إلى مكة ليلته، وذلك قبل الهجرة)؛

هذا كله كان قبل هجرته إلى المدينة ﷺ.

قال المؤلف رحمه الله: **([69] واعلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، وتأوي إلى قناديل تحت العرش، وأرواح الفجار الكفار في بئر برهوت؛ وهي في سجين).** هكذا جاء في الحديث⁽¹⁾؛ أن الشهداء أرواحهم تكون في أجساد طيور في الجنة؛ تسرح وتنعم في الجنة؛ وهذا في أرواح الشهداء.

قال: (وتأوي إلى قناديل تحت العرش) هكذا جاء في نفس الحديث.

قال: (وأرواح الفجار والكفار في بئر برهوت؛ وهي في سجين)، هذا ورد في حديث ضعيف؛ لا يصح⁽²⁾.

(1) أخرج مسلم في "صحيحه" (1887): عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169]؛ فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: "أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ.."

(2) أخرجه البيهقي في "البعث والنشور" (1034) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفي إسناده مهم. وأخرجه ابن حبان في "صحيحه"، وقال الشيخ الألباني: "ضعيف، والظاهر أنه من الإسرائيليات". وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (9118) من حديث علي رضي الله عنه. وقال الشيخ الألباني رحمه الله في "تحقيق الآيات البيّنات" (91): "وأما فقرة أرواح الكفار فلم ترد في حديث مرفوع وإنما هي آثار موقوفة ساقها ابن القيم (106 – 107) وكلها ضعيفة الإسناد، نعم وقع مرفوعاً في مؤلف لأبي سعيد الخراز كما في "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (4 / 221) لكن الخراز هذا صوفي مشهور بيد أنه في الرواية غير معروف..."

والصحيح أَنَّ أرواح الكُفَّار في قبورهم يُعذبون؛ كما صَحَّتْ بذلك الأخبار عن النَّبي ﷺ⁽¹⁾.
والرَّوح تُطلقُ في اللِّغة؛ ويُرادُ بها حياة ذوات الأرواح؛ فالحياة على قسمين:

- حياة حركة؛ وهذه تكون في ذوات الأرواح.
- وحياة نُمُو؛ وهذه تكون في الأشجار والنباتات؛ وهذا التقسيم ذكره ابن القيم رحمه الله⁽²⁾.

انظروا إلى الشجرة الآن؛ عندما تقطعها تيبس وتموت؛ هذه حياة؛ لكن لا روح فيها،
وأما الحيوان والإنسان إذا مات خرجت روحه؛ ففيه روح،
كذلك الجنين في بطن أمه قبل الأشهر الأربعة تكون فيه حياة، من قِبَلِ حياة الأشجار
والنباتات؛ لأنَّه لا روح فيه، ثم تدبُّ فيه الرُّوح بعد الأشهر الأربعة؛ عندئذ تُصبح حياته كحياة
بقية البشر، أمَّا قبل ذلك؛ فتكون حياته كحياة النباتات والأشجار؛ لا روح فيها وإنَّما هي نُمُو؛
ينمو، يكبر لكن لا روح فيه.

قال المؤلف رحمه الله: ([70] والإيمان بأنَّ الميِّت يُقَعَّدُ في قَبْرِهِ وتُرْسَلُ فيه الرُّوحُ؛ حتَّى
يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، ثُمَّ تُسَلُّ رُوحُهُ بِلا أَلَمٍ).

يُشير في هذا إلى حديث البراء بن عازب⁽³⁾، الذي ذكر فيه بأنَّ الميِّت إذا وُضِعَ في قَبْرِهِ، جاءه
ملكاً فأجلساه، فسألاه: من ربِّك، وما دينك، وماذا تقول في هذا النَّبي الذي بُعث فيكم؟ فإذا
كان رجلاً صالحاً؛ قال: رَبِّي الله، وديني الإسلام، ونبيَّ محمد ﷺ؛ والجواب على هذا السؤال
يكون على حسب العلم والعمل والإيمان في الدُّنيا، وليس مجرد جريدة يحفظها وينتهي الأمر؛
لا، حتَّى لو كان حَفِظَ الحديث بالكامل، ولم يؤمن ولم يعمل؛ لن يُجيب؛ الإجابة تكون على
حسب العلم والإيمان والعمل، فإذا كان من أهل الإيمان والعمل؛ أجاب بهذا الذي ذكرنا، وإذا
لم يكن كذلك؛ فيقول: (ها، ها؛ لا أدري)، ثم بعد ذلك: يَنعَمُ المؤمن، ويُوسَّعُ له في قَبْرِهِ،
ويُفْتَحَ له باب إلى الجنة، ويبقى في نعيمه إلى أن تقوم الساعة، وأما الكافر فيُعَذَّبُ في قَبْرِهِ،

(1) كما في حديث البراء الآتي.

(2) "تحفة المودود بأحكام المولود" (ص 246، 261)

(3) أخرجه أحمد (18534)، وأبو داود (4357)، وأصله في الصحيح.

يُضْغَطُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، وَيَبْقَى يُعَذَّبُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛
هكذا ورد في الحديث.

وهذان المَلَكَانِ؛ جاء في رواية عند التِّرْمِذِيِّ (1) بِأَنَّ اسْمَهُمَا: (مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ).

قال: (ثُمَّ تُسَلُّ رُوحُهُ بِلا أَلَمٍ)؛

كما جاء (2) بِأَنَّ رُوحَهُ تَخْرُجُ مِنْهُ بِلا أَلَمٍ؛ بخلاف الكافر، إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ؛ تَخْرُجُ بِأَلَمٍ شَدِيدٍ،
كما لو أَنَّ صُوفاً قَدْ التَفَّ عَلَى شَوْكٍ ثُمَّ نَزَعَ الصُّوفَ مِنَ الشَّوْكِ.

قال: ([71] وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الزَّائِرَ إِذَا زَارَهُ، وَيَتَنَعَّمُ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ، وَيُعَذَّبُ الْفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى).

قوله: (وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الزَّائِرَ إِذَا زَارَهُ)،

وَلَا يَصِحُّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَحَادِيثُهُ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ (3)، قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ

الْمَوْتَى﴾ (4)، هَذَا الَّذِي يَصِحُّ كَدَلِيلٍ عَلَى الْمَسْأَلَةِ؛ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ

الْمَوْتَى﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (5)،

وَالْأَصْلُ أَنَّ الَّذِي فِي الْقَبْرِ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْلَمُ شَيْئاً مِمَّا هُوَ خَارِجُ الْقَبْرِ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا قَرَعَ نِعَالُ الَّذِينَ
يُشَيِّعُونَهُ عِنْدَمَا يُدْخِلُونَهُ فِي الْقَبْرِ وَيَذْهَبُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يُصْبِحُونَ كَأَنَّهُمْ عَلَى السَّطْحِ مِنْ أَعْلَى؛
فَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ فَقَطْ. وَمَا وَرَدَ خَاصّاً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْمَاعِ بَعْضِ
الْمُشْرِكِينَ تَبْكِيَتاً لَهُمْ (6).

هَذَا الَّذِي وَرَدَ بِهِ النَّصُّ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ - أُمُورُ الْقَبْرِ وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ - كُلُّهَا أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ لَا
تُقَاسُ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا، مَا ثَبَتَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ؛ أَثْبَتْنَاهَا، وَمَا لَمْ تَثْبُتْ بِهِ الْأَخْبَارُ؛ لَمْ نُثْبِتْهُ؛ هَذِهِ

(1) (1071) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(2) كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الطَّوِيلِ

(3) انْظُرِ الضَّعِيفَةَ لِلْأَلْبَانِيِّ (4493).

(4) [النمل: 80]

(5) [فاطر: 22]

(6) انْظُرِ "الآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الْأَمْوَاتِ" لِلْأَلُوسِيِّ بِتَحْقِيقِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

عقيدتنا في ذلك؛ لأن هذه المسائل بالنسبة لنا غيبية، لا نعلم عنها شيئاً؛ فلا يصح شيء في أن الميّت يسمع من هم خارج القبر.

وهذه المسألة- سماع الميّت للزّائر- هي من ذرائع المشركين؛ الذين يُشركون ويعبدون الأولياء، ويعبدون القبور، يتذرّعون بهذا؛ يقولون قد ثبت سماع الميّت؛ فإذا نحن ندعوه ونتقرّب إليه وهذا باطل؛ سواء قلنا بأنّه يسمع أو لا يسمع؛ فكلّ هذا الذي ذكره باطل؛ لأنّه حتّى لو كان يسمع؛ فلا يجوز لك دعاءه؛ لأنّه إذا كان يسمع فإنّ الله سبحانه وتعالى ذكر لنا أنّه يسمع، ولم يذكر لنا أنّنا ندعوه ونسأله، هذه الحال- هذا لو سلّمنا بأنّه يسمع- ولكنّه على كل حال لا يسمع، والأحاديث التي تدلّ على أنه يسمع ضعيفة لا يصحّ منها شيء.

قال: **(ويتنعم المؤمن في القبر، ويُعذب الفاجر كيف شاء الله)**

كما ذكرنا في حديث البراء بأنّه يفتح عليه باب إلى نار جهنّم، وكذلك المؤمن يُفتح له باب إلى الجنّة، والكافر يُعذب، والمؤمن يُنعم وهو في قبره على ما جاء في حديث البراء، وغيره من الأحاديث الصّحيحة. والله أعلم

